الصهيونية العربيّة واللاهوت الفلسطيني
القسيس د. منذر اسحق
كليّة بيت لحم للكتاب المقدس

بينما تستمر المجازر بحقّ أهلنا في غزة، وحرب الإبادة في غزة تستعد لدخول شهرها الحادي عشر، وبينما ما زلنا نصلي ونعمل ونناشد لوقف هذه الحرب والوصول إلى وقف إطلاق نار، ومسيحيّو غزة يعانون هول هذه الحرب شأنهم شأن كلّ أهل غزة، انكشف القناع عن أفراد مؤثرين على مواقع التواصل الاجتماعي يعبّرون عن أيديولوجيّة اخترقت المسيحية المشرقية، وهي تحديدًا الصهيونية العربية المسيحيّة. وقد ظهر حجم تغلغل هذه الجماعة بعد انتشار عدّة فيديوهات ومقالات لهم تهاجم قيادات ومؤسسات مسيحيّة مشرقيّة إنجيليّة بسبب مواقفهم من الصهيونية المسيحيّة ودعوتهم لوقف الحرب. كما وهاجمت هذه الأصوات مفهوم اللاهوت المسيحي في السياق الفلسطيني (اللاهوت الفلسطيني)، وإن اتسمَ هذا الهجوم بعدم فهم بل وجهل كبير في هذا المفهوم.

في هذه المحاضرة، سأوضح أولاً ما هي الصهيونيّة المسيحية، والصهيونية المسيحية العربيّة، ومن ثمّ سأتطرّق إلى موضوع اللاهوت الفلسطيني، ومن ثمّ سوف أقدم بعض التوصيات. الهدف هو وضع النقاط على الحروف من ناحية وحسم بعض القضايا الهامة، ومنها الصهيونية المسيحية وعلاقتها برسالة الإنجيل، وثانيًا تصحيح المفاهيم الخاطئة التي انتشرت عن اللاهوت الفلسطيني وعن كليّة بيت لحم للكتاب المقدس في الآونة الأخيرة والتي خلقت للأسف بلبلة وتشويش عند الكثيرين. وأخيرًا، يبقى هدفنا أولاً وأخيرًا ملكوت الله وانتشاره في أرضنا وعالمنا. أصلي أن أقدم هذه المفاهيم بروح المحبة المسيحيّة، متذكرًا قول الكتاب المقدس: "إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا" (1 كورنثوس 13:1-2).

أولاً: الصهيونية ـ الصهيونية المسيحية ـ والصهيونية المسيحية العربيّة

الصهيونية المسيحية: لنُعرّف الصهيونيّة المسيحيّة، علينا أن نُعرّف الصهيونيّة أولاً. الصهيونيّة هي الحركة التي سعت لتكوين وطن قومي لليهود في أرض فلسطين - وهي أرضٌ كانت مسكونة من قبل آخرين، سكنوا فيها لمئات بل وربما آلاف السنين. الصهيونية إذًا هي استعمار أرض وطرد شعبها واستبدالهم بآخرين، والصهاينة الأوائل على فكرة أقرّوا بهذه الطبيعة الاستعمارية للصهيونية وطلبوا دعم الإنجليز لهم كونهم حركة استعماريّة مشابهة، وهو ما وثقته مراجع تاريخية كثيرة. عاش اليهود حقبات عديدة من الاضطهاد والذلّ في أوروبا، قادت إلى المحرقة التي ذهب ضحيتها 6 مليون يهودي، قتلهم الألمان بأبشع الطرق. عدد كبير من اللاجئين اليهود

الذين نجوا من هول المحرقة انضموا إلى الحركة الصهيونية دعموها، بعد أن كان غالبيّة اليهود قد رفضوا في البداية الصهيونية لأسباب دينيّة (ساند).

أسّست الحركة الصهيونية دولة إسرائيل في فلسطين على حساب سكّان الأرض. فالأرض لم تكن يومًا خالية من السكان. في نكبة ال 1948 تمّ طرد حوالي 800 ألف فلسطيني من أرضهم، وتهجير وهدم حوالي 480 قرية وبلدة، وتمّ تأسيس الكيان الصهيوني على ركام هذه البلدات. كان من بين اللاجئين عدد كبير من المسيحيين (بين 50-60 ألف مسيحي فلسطيني)، وقد وثقوا هذا الأمر، مثل الأب شقور، في كتابه إخوة الدمّ. وقد تمّ هدم قرى مسيحيّة وتهجير سكانها بشكل قصري مثل إقرت وكفر برعم، ووثّق أحد أصدقائي إغلاق أكثر من 30 كنيسة بفعل النكبة.

في نكبة ال 1948 ارتكبت العصابات الصهيونية جرائم كثيرة بحقّ الفلسطينيين، واتبعوا خطّة ممنهجة لطرد الفلسطينيين، واقترفوا جريمة التطهير العرقيّ، وهو ما يشهد لهُ مؤرخون إسرائيليّون أمثال إلان بابي والمؤرخ الصهيوني بني موريس. لم يكن الأمر دفاعًا عن النفس، ولم يهرب الفلسطينيين، بل طُردوا من أرضهم وبيوتهم بالقوة.

ومنذ 76 عامًا، والصهيونية تمارس التهجير والقمع بحقّ الفلسطينيين، مرسخة نظام فصل عنصريّ بامتياز يشابه نظام الفصل العنصري الذي كان في جنوب أفريقيا، بحيث لم يعد الموضوع قيد البحث بعد الآن. الكل يقرّ اليوم بأن إسرائيل دولة فصل عنصري (إلا حلفائها). ما زالت إسرائيل تصادر الأراضي، ومنها أراضي المسيحيين، وما زالت تهجر الفلسطينيين ومنهم المسيحيين. وأتكلّم هنا عن سياسات ممنهجة، مثل سحب الهويّات وعدم منح إقامات، ومصادرة بيوت وأراضٍ. (هذا الأسبوع شاركنا في دعم عائلة قيسية وهي عائلة مسيحية من محافظة بيت لحم طردهم مستوطنون صهاينة من أرضهم). واليوم نرى ثمار الصهيونية في الذي يحصل في غزة، وفي قانون القوميّة العنصريّ، وفي عنف المستوطنين في الضفة، وحكومة نتنياهو وبن غفير. هذه هي الصهيونية.

ونشير هنا وبوضوح أن الصهيونية لا تعادل اليهوديّة، فمنذ بداية الصهيونية عارضها العديد من اليهود، ومعارضو الصهيونية اليهود في تزايدٍ كبير اليوم، وكثيرون منهم أصدقاءُ مقرّبون لنا. وحتى في الوقفة التضامنية مع عائلة قيسية شاركنا مجموعة من اليهود منهم راباي من مجموعة المعلمون اليهود من أجل حقوق الإنسان. يجب أن نفرّق، ونشدّد أننا كفلسطينيين، لسنا ضد اليهود أو اليهودية، بل ضد الصهيونية.

أما بالنسبة للصهيونية المسيحية، فهي الدعم المسيحي السياسي للصهيونية ولدولة إسرائيل باستخدام الكتاب المقدس. هي دعم تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين من منطلق مسيحي لاهوتي، على حساب الفلسطينيين، مسلمين ومسيحيين، فهو إذًا لاهوت صهيوني يسعى لتبرير استعمار فلسطين باستخدام آيات الكتاب المقدس. فتؤمن الصهيونية المسيحية أن لليهود حقّ إلهي بأرض فلسطين، وأنّ فلسطين التاريخية اليوم هي كلّها بجملتها ملكٌ أبديٌّ للشعب اليهودي، إذ ان

الله أعطاهم إياها بحسب الكتاب المقدس ميراثًا أبديًّا. والمثير للانتباه أن الأرض بحسب المشروع الصهيوني تمتدّ حدودها من النهر إلى النهر، أي من النيل إلى الفرات. ويؤمنون أنّ الله لديه خطة خاصة لليهود، ويرى الكثير منهم أن قيام دولة إسرائيل واحتلال القدس هي تحقيق للنبوات. ويؤمن الكثير منهم أن الوعد لإبراهيم في تكوين 2:12 بأن "الله سيبارك مباركيه وسيلعن لاعنيه" على أنه المقياس الذي يجب أن يحدّد علاقتهم وعلاقة دُوَلِهم باليهود بشكل عام وبدولة إسرائيل بشكل خاص. بعبارة أخرى، هم يؤمنون بالتالي: "إن باركنا إسرائيل اليوم، سيباركنا الله، وإن لعنّاها، فإن الله سيلعننا". هناك إذًا كنائس وجماعات مسيحية تؤمن من منطلق مسيحي لاهوتي بضرورة دعم دولة إسرائيل دعمًا سياسيًا وماديًا ومعنويًا.

نحن نتكلم هنا عن اللاهوت الصهيوني، وهو لاهوت سياسي استعماريّ، ينادي بإله عنصري قَبَلّيّ، يفاضل بين شعبٍ وشعب بحسب العرق أو الدين أو الإثنيّة، إله تطهير عرقيّ وحرب. هو لاهوت استعلائي لا يبالي بالفلسطينيين بل ويعتبرهم أعداء شعب الله. فاليوم، يعطي اللاهوت الصهيوني ليهودي وُلد في بروكلين في أمريكا الحقّ باستيطان فلسطين والاستيلاء على بيوت وأراضي أهلها (وربما بيوت مسيحيين فلسطينيين)، بينما ينكر حقّ الفلسطينيين بما فيهم المسيحيين بالعودة إلى بيوتهم التي طُردوا منها عنوةً في النكبة ومن خلال سياسات التهجير على مدى 76 عامًا. دعونا لا ننسى أن كليّة بيت لحم للكتاب المقدس خسرت أربعة أعضاء هيئة تدريسيّة هُجّروا قصرًا من بيت لحم بسبب سياسات التهجير الإسرائيلية. وللأسف، تحول الدين والإيمان إلى سياسات ظالمة. فقالوا: "عاد اليهود إلى أرضهم"، فأصبح اليهودي الذي وُلد في بروكلين، بحكم ديانته واثنيته، صاحب بيت، وابن بيت لحم الذي سكن أجداده وأجداد أجداده وأجداد أجداد أجداد أجداده – أصبح الغريب في بيته وأرضه. ويريدون أيقنعوننا أن هذه إرادة الله الصالحة، جاعلين الله إله ظلم عنصريّ.

اللاهوت الصهيوني نادى بمبدأ "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، ونادى بهذا مسيحيّون قبل الصهاينة اليهود. هي عبارة عنصريّة بامتياز، لسببين على الأقل:

- العنصريّة نحو اليهود، أو اللا-سامية، أي معاداة اليهودية، بعدم اعتبار اليهود مواطنين في أوروبا بدرجة مساوية للأوربيين المسيحيين.
- العنصريّة نحو العرب الفلسطينيين، باعتبار الأرض "أرض بلا شعب" رغم علمهم أن الأرض كانت لشعب. فهم لا يروننا بشرًا مساوين. كما قال د. يوسف خوري: هنا بدأت الإبادة، عندما محونا من الوجود بعبارة أرض بلا شعب.

واليوم هناك صهاينة مسيحيون أكثر من الصهاينة اليهود، وللأسف بدأت الصهيونية بالتغلغل بين العرب، مسلمين ومسيحيين، فهناك إسلام صهيوني، وهناك الكثير من يدعم إسرائيل من بين العرب. لكنّ تركيزي اليوم هو على الصهاينة المسيحيين العرب، والذين يدعمون الصهيونية من منطلق مسيحيّ، بناءً على تفسيراتهم للكتاب المقدس، وربما أيضًا من منطلق تجاربهم الشخصية مع التطرّف الإسلاميّ والتي قد تكون قد خلقت لديهم نظرة سلبيّة نحو المسلمين وهكذا يرون في

إسرائيل صديقةً من منطلق "عدو عدوّي هو صديقي". الغريب والمخجل هو ارتباط البعض منهم بدولة الاحتلال الصهيونية، دولة جرائم الحرب، وبينما يتهمون المسيحيون الفلسطينيون بالسياسة، هم منخرطون بالسياسة، بل بأقبح أنواع السياسة، تلك السياسة التي تؤيد وتشجع الظلم، وتحتفل بالقوة عوضًا عن الوداعة.

لابدّ هنا أن أذكر أن العديد من اللاهوتيين والمفكرين والناشطين اليهود والمسيحيين سويّة يعتبرون أن الصهيونية المسيحية ايديولوجيّة معادية للاساميّة! فهناك عدد من الإنجيليين الصهيونيين يعلمون علنًا أن اليهود هم اليوم تحت دينونة ولعنة لرفضهم المسيح، وهذه اللعنة ستنتهي في الأيام الأخيرة عندما يقبل اليهود المسيح. كما ويؤمن عدد كبير من الصهاينة المسيحيين أن اليهود سيتجمّعون في فلسطين تحضيرًا لإبادتهم من جديد (ثلثا اليهود سيبادون) وأنه ستقع عليهم كما يقولون هم "دينونة جديدة". وتتعامل الصهيوينة المسيحيّة مع اليهود كفئة تخدم أغراضهم ومشروعهم المتعلّق بآخر الأيام.

كمسيحيين شرقيّين وفلسطينيين، قدمنا إجابات من الكتاب المقدس، من إيماننا بالوحي، ورسالة الخلاص الذي يحتويه، تجيب وتنقض لاهوت الصهيونية المسيحيّة. هناك كتب كثيرة، أذكر منها كتاب الدكتور يوحنا كتناشو أرض المسيح، وكتابي أرض الميعاد. وقدمنا شروحات لاهوتيّة كتابيّة، أحتاج ساعات كثيرة لشرحها، ولكن سأكتفي هنا بملخّص بسيط عن أهم الحجج التي قدّمناها، فقط لأوضح أن الطرح الذي نقدمه هو طرح كتابي مُلتزم.

كتبنا مثلاً عن لاهوت الأرض وعلاقة ملكيّة الأرض بالعهد، وأن الوعود كانت مشروطة بالطاعة:

"بِكُلِّ هذِهِ لاَ تَتَنَجَّسُوا، لأَنَّهُ بِكُلِّ هذِهِ قَدْ تَنَجَّسَ الشُّعُوبُ الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ فَتَنَجَّسَتِ الأَرْضُ. فَأَجْتَزِي ذَنْبَهَا مِنْهَا، فَتَقْذِفُ الأَرْضُ سُكَّانَهَا. لكِنْ تَحْفَظُونَ أَنْتُمْ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، وَلاَ تَعْمَلُونَ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ هذِهِ الرَّجَسَاتِ، لاَ الْوَطَنِيُّ وَلاَ الْغَرِيبُ النَّازِلُ فِي وَسَطِكُمْ، لأَنَّ جَمِيعَ هذِهِ الرَّجَسَاتِ قَدْ عَمِلَهَا أَهْلُ الأَرْضِ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ فَتَنَجَّسَتِ الأَرْضُ. فَلاَ تَقْذِفُكُمُ الأَرْضُ بِتَنْجِيسِكُمْ إِيَّاهَا كَمَا قَذَفَتِ الشُّعُوبَ الَّتِي قَبْلَكُمْ." (لاويين 18:24-28)

يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّ السَّاكِنِينَ فِي هذِهِ الْخِرَبِ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَتَكَلَّمُونَ قَائِلِينَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ وَاحِدًا وَقَدْ وَرِثَ الأَرْضَ، وَنَحْنُ كَثِيرُونَ، لَنَا أُعْطِيَتِ الأَرْضُ مِيرَاثًا. لِذلِكَ قُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: تَأْكُلُونَ بِالدَّمِ وَتَرْفَعُونَ أَعْيُنَكُمْ إِلَى أَصْنَامِكُمْ وَتَسْفِكُونَ الدَّمَ، أَفَتَرِثُونَ الأَرْضَ؟ وَقَفْتُمْ عَلَى سَيْفِكُمْ، فَعَلْتُمُ الرِّجْسَ، وَكُلُّ مِنْكُمْ نَجَّسَ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ، أَفَتَرِثُونَ الأَرْضَ؟ (حزقيال 33:24-26)

وعلّمنا أن الأرض كانت هبة من الله، لكنها بقيت ملكًا لله، ولم تصبح أبدًا ملكًا للشعب: "والأرض لا تباع بتة، لأن لي الأرض، وأنتم غرباء ونزلاء عندي." (لاويين 25:33)

وأن الأرض هبة لخير الشعب، وأن السكنى فيها ارتبطت بالحفاظ على العهد، وذكر الوحي أربعة أمور تُفقد أحقيّة شعب الله في العهد القديم بالسكنى في الأرض، وهي: عبادة الله وعدم الإشراك به، حفظ شرائع اليوبيل والسبت، والتمسّك بالأخلاقيّات ومن ضمنها الأخلاقيات الجنسيّة، وتطبيق العدل المجتمعي والاقتصادي، والأخيرة أكثر ما ركّز عليه الأنبياء والناموس: "الْعَدْلَ الْعَدْلَ تَتَّبِعُ، لِكَيْ تَحْيَا وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ." (تثنية 20:16).

وناقشنا أمورًا مثل حدود أرض الميعاد، وتوسعها، وشمولية البركات والوعود، وأن الله شموليّ، فهو إله الكل، واختيار إبراهيم قصد به الله بركة جميع شعوب الأرض (تكوين 3:12). فإبراهيم ونسله هم رسالة للشعوب، وتحديدًا لفعل البرّ والعدل:

"وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ. لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلًا" (تكوين 18:18-19)

وركزّنا أن مفهوم الاختيار في الكتاب المقدس لا يعني السموّ أو الأفضليّة أو الأحقيّة، بل المسؤولية والدعوة. الاختيار هو اختيار لمهمّة، مبني على طاعة الشعب لله:

"فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً" (خروج 19:5-6).

ودرسنا وشرحنا نبوءات آخر الأيام، ووضحنا كيف أنها لا تنطبق على الإطلاق مع ما يحصل اليوم على الأرض وأنّ لا علاقة لها بدولة سياسيّة، هي دولة حرب واستعمار، لا سلام، وبدون مسيح منتظر. وبأنه بحسب فهم الرسل الاوائل وكتاب العهد الجديد، الذين اقتبسوا عشرات نبوات العهد القديم، فإن هذه النبوات قد تحققت في السيد المسيح.

رفضنا الصهيونية المسيحيّة لأنها تتغاضى عن العهد الجديد، ولا تقرأ العهد القديم ونبوّاته بعيون المسيح. الصهيونية المسيحيّة أولاً وقبل كلّ شيء تتخالف مع إيماننا بمركزية المسيح، بأن فيه تتحقّق كل الوعود، وليس في دولة سياسية: "لان مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم وفيه الآمين لمجد الله بواسطتنا" (1 كورنثوس 20:1). وأنّ كلّ العهد القديم يشير إلى المسيح، كما أشار هو بذاته إلى تلميذي عمواس: «هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ». حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ. (أعمال 24:44-48). وأن بركة الله لإبراهيم تمّت في المسيح: "لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غلاطية 3:14)، وأن نسل إبراهيم الموعود الذي ورث المواعيد هو المسيح، وليس إسرائيل، كما يقول الكتاب: "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ." (غلاطية 3:16).

ويؤكد العهد الجديد أن الدخول إلى عائلة إبراهيم اليوم هو من خلال المسيح: "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ." (غلاطية 3:28-29).

لا يوجد أوضح من كلّ هذا! يتحقّق الميراث من خلال المسيح. استبدلت الصهيونية المسيحية مركزية المسيح بمركزيّة اسرائيل، فجعلت من إسرائيل مركز النبوات، ونسل إبراهيم. الصهيونية المسيحية تهمّش المسيح وتجعل من دولة سياسيّة استعماريّة بديلاً له. نقول: حاشا.

ويؤكد العهد الجديد أنّ الله ليس عنصريًّا. فالله للجميع:

"أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا." (رو 3: 29).

فَفَتَحَ بُطْرُسُ فَاهُ وَقَالَ: «بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ. الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ. (أعمال 10:34-36)

وكما أكد بولس: ليس يهودي ولا يونانيّ. الغريب أنّ ما حارب بولس من أجله، تحديدًا أن ليس يوناني أو يهوديّ في المسيح، هو ما أعادته الصهيونية المسيحية اليوم، وأصروا أنّه يوجد يهودي ويونانيّ، وأنّ اليهودي له امتيازات مثل الأرض. بل وحتى ذهب البعض منهم للقول أن اليهودي لا يحتاج المسيح وأنّ الناموس يخلّصه. (لليهوديّ الحقّ أن يؤمن بهذا! هذا إيمانه وهذه حريّته. أما أن نتجاهل كمسيحيين تعاليم العهد الجديد، فهذا غير مقبول).

بعد أن شدّدنا أن الكتاب المقدس لا يتوافق مع الصهيونية المسيحية، لا بدّ لنا أن نسأل: ما هي مرجعيتنا لحلّ النزاعات بين الشعوب اليوم؟ القوانين والمواثيق الدولية، أم تفسيرات دينيّة تشوه النصوص المقدسة؟ هل فعلاً يمكننا فرض المعتقدات الدينيّة على الآخر؟ ونقول للفلسطينيين: عليكم أن تقبلوا دين اليهود والصهيونية المسيحية وعقيدة أن الله أعطى الأرض لليهود واخرجوا منها!

ثمار الصهيونية العربية أضحت واضحة: كراهيّة غريبة للفلسطينيين وكلّ من يتعاطف معهم، لمسناها في هذا الهجوم الغريب. هي كراهيّة أيضًا للجار المسلم، والذي وإن اختلفنا معه في العقيدة وفهمنا لطبيعة الله، وإنّ عادانا فئة منهم، فوصية المحبة هي الأساس، التي نبقى ملتزمين بها. ألم يوصي السيد بأن نحب القريب وحتى الاعداء؟ ألم يقل المسيح: " سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل

تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مَتَّى 5:43-48).

وللأسف، افتقر الأسلوب حتى إلى الموضوعية واتسم بالجهل الأعمى بل وحتى الافتراء. لنأخذ مثلاً الهجوم على كليّة بيت لحم للكتاب المقدس لاستخدامها كتابي : "مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني"، وهو عبارة عن مقدمة أكاديمية لكتابات لاهوتيين فلسطينيين متعددين حول قضايا متنوعة في السياق الفلسطينيّ. والكتاب عبارة عن تجميع مقالات لكتّاب من خلفيات كنسية متعدّدة، ليس بالضرورة أن تتفق مع بعضها البعض في النظر إلى الأمور. هدف الكتاب تقديم هذه الكتابات للقارئ الفلسطيني والعربي. الهجوم في المقابل كان على الكليّة لتعليمها هذه الآراء، وهو ما يناقض الطبيعة الأكاديميّة للكليّة، كونها كليّة جامعية تلتزم بمعايير أكاديمية، عابرة للعائلات الكنسية تعلّم آراء متعدّدة بموضوعيّة هدفها توضيح هذه الآراء للطالب. فهل يجب أن تعلّم الكليّة فقط خط لاهوتي واحد وتفسير لاهوتي واحد؟ أليس هذا قتل للتفكير العلمي الناقد - الذي يفتخر وينادي به من يهاجموننا؟

الأسوأ في الهجوم على الكتاب كان الافتراء الذي احتواه هذا الهجوم، مصوّرين كل مقالات الكتاب وكأنها كتاباتي وآرائي بل وأنها تمثّل موقف الكليّة الرسمي. حيث تمّ اقتباس جُمل لكُتّاب مسيحيين فلسطينيين آخرين وكأنني أنا الذي كتبتها، وانتقدوا أسلوب أحد المفكرين الفلسطينيين الذين احتوى الكتاب على مقالاتهم، وينتمي لعائلة كنسيّة غير انجيليّة، عُرف باستخدامه أسلوب التقرّب مع المسلمين، وكأنها كتاباتي وكتابات الكليّة. لم يكن هذا عن جهل. هذا كذب مقصود وشهادة زور يهدف إلى مهاجمة مؤسسة مسيحية والتشهير والتحريض عليها وعلى خدامها، الذين رفضوا الهجرة الى الغرب وأصروا على خدمة كنيستهم وشرقهم رغم الألم والثمن الغالي. ولو بحث المعترضون لأدركوا أن الكليّة تعلم مساق يُسمى "اللاهوت والفكر المسيحي في السياق الفلسطيني" (وليس اللاهوت الفلسطيني)، وهو ذات طبيعة أكاديميّة معرفيّة يقدم وجهات تظهر متنوعة بل وأحيانًا متعارضة كلّها موجودة اليوم في السياق الفلسطينيّ.

اللاهوت المسيحي في السياق الفلسطيني

يأخذنا هذا إلى القسم الثاني من محاضرة اليوم عن اللاهوت المسيحي في السياق الفلسطيني، وهو ما يُعرف باللاهوت الفلسطيني، وأعرفه أنا في كتاب "مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني" بأنه: "الاقتراب إلى الله وكلمة الله المتجسدة في الواقع الفلسطيني شعبًا ومكانًا. إنه دراسة الكتاب المقدس بنظرة تربط ما يقوله الوحي بواقع أرضنا. إنه دراسة اللاهوت بحثاً عن أجوبة لأسئلة الإنسان الفلسطينيّ الملحّة والمعاصرة. أين الله من النكبة؟ ماذا عن اللاجئين؟ أين الله من الجدار؟ الاحتلال؟ كيف أقاوم الظلم؟ ما هي رسالتنا لأرضنا وشعبنا؟ بعبارة أخرى، اللاهوت المحلّي هو أن نحضر

بإيماننا إلى واقعنا، وأن ننظر إلى المسيح ونستمع إلى تعاليمه وفي ضوئها نواجه تحدياتنا، وأن نربط اللاهوت بسياقنا".

يهدف اللاهوت الفلسطيني إلى ربط الإيمان بالواقع، كما يشير إليه عنوان مؤتمر كليّتنا "المسيح أمام الحاجز"، وشعاره كنيسة وصليب أمام الجدار. فنسأل: لو وقف المسيح أمام الحاجز العسكري الإسرائيلي اليوم، فكيف سيتصرّف؟ ماذا سيقول؟ فالحاجز والجدار هما رمز واقعنا تحت الاحتلال، خاصة في بيت لحم، حيث يفصل الجدار القدس عن بيت لحم، وهو ما يحصل لأول مرّة في التاريخ. فإذا لم نربط الحاجز والجدار بالصليب والمسيح، أصبح إيماننا المسيحي غير قادرٍ على التفاعل مع واقعنا. المسيح والصليب هما العدسة التي نقرأ بها كل شيء في حياتنا "حاشا لي ان افتخر الا بصليب سيدي المسيح (غلاطية 14:6)" . ومن رسالة الكنيسة بالإضافة إلى تقديم إنجيل النعمة والخلاص، أن تربط المسيح والصليب بواقع الإنسان المُعاش. اللاهوت الفلسطيني هو ربط الواقع بالإيمان بهدف خدمة إنجيل المسيح في زمنٍ ما ومكانٍ ما، في الأرض التي وضعنا الله فيها لخدمتها وشعبها، انطلاقًا من الإيمان بسيادة الله على كل ركنٍ من حياتنا – وهذا يشمل الأمور السياسية والقضايا الاجتماعية وطريقة تعاملنا مع من يظلمنا، في زمنٍ يُباد فيه شعبنا في غزة، وتُسلب أراضينا في الضفة، وفُرص السلام أصبحت أقل، والصهيونية المسيحية ما زالت تتغلغل في كنائسنا بل وزادت. ولاهوت المسيحية الصهيونية الذي يُبجّل إسرائيل في ازدياد، والدعم السياسي من الكنائس الإنجيلية لدولة إسرائيل في ازدياد.

والمسيحيون يتساءلون: أين الكنيسة من كل هذا؟ هل لنا دورٌ؟ ما هي رسالتنا؟ شبابنا يبحثون عن أجوبة للتحديات التي يواجهونها بشكل يوميّ – فأين نحن من كل هذا؟ أين نورنا ورسالتنا؟ اللاهوت الفلسطيني يحاول جاهدًا تقديم إجابات عنّ كلّ هذا. قد نُوفّق أحيانًا، وقد لا نصيب أحيانًا أخرى. وهناك تنوّع بل وحوارٌ داخليّ بنّاء بين اللاهوتيين الفلسطينيين. فاللاهوت الفلسطيني مكتبة متنوّعة، وهو لا يقتصر كما يعتقد البعض على لاهوت التحرّر، بل هناك مداخل كثيرة لهُ، ذكرت سبعةً منها في كتابي: "مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني"، وقد تكون أكثر. ويجمع هذا اللاهوت مداخلات من عائلات كنسيّة متنوّعة، وهو ليس حكرًا على عائلة كنسيّة ما. كليّة الكتاب المقدس جزء من هذا النسيج، تقدّم مداخلات من منطلق إيمانها الانجيليّ.

انتشرت مؤخرًا العديد من المغالطات والاتهامات والافتراءات حول اللاهوت الفلسطيني، بعيدة عن المفهوم الصادق لهذا اللاهوت. فهناك مثلاً من قال أن اللاهوت الفلسطيني يرفض العهد القديم، بينما الواقع هو العكس تمامًا. فالكتاب الذي تمّ الهجوم عليه يحتوي مثلاً على مقال للمطران جمال خضر يدافع فيه بأمانة كنسيّة والتزام عن العهد القديم، وهناك مقالٌ آخر للبطريرك ميشيل صباح بذات الهدف. وكتابي "أرض الميعاد" وكتاب الدكتور كتناشو "أرض المسيح"، على سبيل المثال لا الحصر، يتناولان آيات ونصوص العهد القديم من منظور انجيلي محافظ. إنّ الاتهام بأن اللاهوت الفلسطيني يرفض العهد القديم هو اتهام خاطئ، بل العكس هو الصحيح.

وكذا الاتهام أن اللاهوت الفلسطيني يغيّر من هويّة المسيح، فلا يوجد أي لاهوتي فلسطيني ينكر يهوديّة المسيح أو النبوات، أو أن الكنيسة الأولى كنيسة الرسل كان غالبيّتها من اليهود. هذا في الكتاب المقدس، واللاهوت الفلسطيني كتابيّ. أما قول البعض منّا بأن المسيح فلسطيني، فهذا ليس إنكارًا ليهوديّته، أو ولادته من نسل إبراهيم وداود، أو "إسرائيليّته الكتابيّة"، إنما هو إشارة إلى أنّه ولد وعاش في ما نعرفه نحن كفلسطين التاريخيّة. بين لحم والقدس والناصرة هي مدن فلسطينية. وهناك من يربط تجربة المسيح تحت الاحتلال الروماني بتجربة الفلسطيني اليوم تحت الاحتلال الإسرائيلي، بهدف رعوي لتقريب الله من الإنسان المتألم وشعبنا المكسور. عندما نقول أن المسيح تحت الأنقاض، هي رسالة أن الله يتضامن مع المقهورين! في النهاية، المسيح هو الله المتجسّد، وهو إله الكلّ، وليس حكرًا على أحد ولا يمكن لأحد أو لشعب أن يحتكره لنفسه. المسيح للجميع. "هُوَ رَبُّ الْكُلِّ" (أعمال 36:10). "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ." (يو 3: 16).

وما صدمني من هذه الهجومات أنّه تمّ هرطقة اللاهوت الذي يرفض الافتراضات الصهيونية، وكأن اللاهوت السليم هو فقط من ينادي أنّ لليهود اليوم حقّ إلهي لاستعمار أرض فلسطين! وتمّ وصف اللاهوت بالبدعة والهرطقة، ضاربين بعرض الحائط المفهوم المسيحي لفكرة البدعة والهرطقة، وهو إنكار لاهوت المسيح، وأساسيّات الإيمان المسيحي، ومعطين لأنفسهم الحقّ بهرطقة الآخرين، وكأنهم الأوصياء على الإيمان المسيحي. كيف يختلف هذا عن مفهوم التكفير عن بعض الجماعات الإسلاميّة؟

على فكرة، الجلّ الأكبر من اللاهوتيين المسيحيين يرفض افتراضات الصهيونية المسيحية، بما فيه اللاهوتيين الإنجيليين المحافظين. خذوا مثلا جون ستوت، ون. ت. رايت، وقبلهم جون كالفن، وغيرهم. هل نكفّرهم؟ فهل فعلاً نكفّر كل مسيحي لا يؤمن بفرضيات الصهيونية المسيحية. لا بل على العكس تمامًا، فاللّاهوت الصهيوني الذي يبرر سفك الدماء والاحتلال ويوازي السيد المسيح له المجد مع حركة سياسية استعمارية، هو من يشوّه اسم الله القدوس ويسيء للمسيح وانجيله وكلمته المقدسة.

وصف البعض اللاهوت الفلسطيني بأنه ينادي بالعنف والمقاومة العنفيّة وحتى بإزالة إسرائيل، بينما العكس هو ذلك تمامًا، فاللاهوت الفلسطيني يمتاز، وهذه من أهم سماته، برفضه للعنف بكافة أشكاله، وإصراره على المقاومة السلميّة لشرّ الاحتلال، وأن الأرض يجب أن يشاركها أو يتقاسمها شعبان، بحقوق متساوية وبزوال كلّ القوانين العنصريّة. والإصرار بأن يقوم الفلسطيني المسيحي بإدانة كلّ عنف فلسطيني هو فرض مهين على الفلسطيني المسيحي، وكأن الفلسطيني المسيحي هو في موقع تبرير أو دفاع عن نفسه ومبادئه، أو كأنّه يؤمن بالعنف والقتل، بينما الواقع أننا دائمًا نشدّد أننا ضد قتل الأبرياء. ولكلّ من يصرّ أن ندين كل هجوم حمساوي وكأننا أصبحنا الناطقين الرسميين لحماس، نقول، أين أنتم من إدانة 76 عامًا من الإرهاب الإسرائيلي الصهيوني ضد الفلسطينيين؟ أين أنتم من إدانة جرائم التطهير العرقي والفصل العنصري وسرقة الأراضي وبناء

المستوطنات واغتصاب المساجين وقتل الأطفال والأبرياء؟ المشين في كل هذا أن مثل هؤلاء باعتناقهم وتبعيتهم العمياء للصهيونية هم من يشرعنون القتل وسفك الدم وليس نحن من ننادي باللاعنف، لذلك نطالبهم هم أن يدينوا وبأشد العبارات الإرهاب والظلم الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني على مدى 76 عام. أما نحن، فموقفنا الرافض للعنف واضح للجميع.

وهناك من اتهم اللاهوت الفلسطيني بأنه ينكر الخلاص الفردي، ومن جديد، لا أعرف مصدر هذا الكلام، فما قلته في تعريفي للاهوت التحرّر مثلاً أنه يوسّع معنى الخلاص، أي أنه يؤمن بخلاص الفرد وأهميّة اهتداء الفرد، وأكثر من ذلك. "ينظر هذا اللاهوت إلى الله على أنه – إضافة إلى كونه مخلّص الإنسان من الخطيئة – هو أيضاً محرّر الإنسان ومنصفه أمام ظلم الإنسان" (مدخل إلى اللاهوت). وهذا مبدأ كتابيّ أصيل، نجده مثلاً في تعاليم السيد المسيح مقتبسًا من نبوّة أشعياء: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ" (لوقا 4:18-19).

واتهموا اللاهوتيين الفلسطيني بأنهم مسيّسين، وكأننا تركنا الإنجيل وانشغلنا بالسياسة. هذا اتهام كاذب أولاً. معظم من كتبوا عن اللاهوت الفلسطيني هم خدام ورعاة كنائس يعظون بالإنجيل بشكل دوريّ، ويخدمون الله ويقدمون رسالة الله بأمانة. وحتى في كلية بيت لحم للكتاب المقدس فنحن ندرّس الكتاب المقدس وخلفياته والعقائد المسيحيّة الرسوليّة وتاريخ الكنيسة. ونعلم عن التلمذة والمشورة والحياة الروحية والخدمة الرعويّة والدفاعيّات. حتى في مؤتمراتنا هناك تنوع، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قمنا في السنوات الأخيرة بمؤتمرات ولقاءات عن القيادة المسيحية والعبادة والشبيبة والألم ومواضيع أخرى! ومن ثمّ، من قال أن ربط الإيمان بالواقع والتكلم عن العدالة وطرق مواجهة الظلم هو تسييس للكنيسة؟ ألا نؤمن نحن الإنجيليين بأن "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (1 تيموثاوس 3:16)؟ ألا يجب علينا أن نعطي رأي الكتاب في مواقف مثل قتل الأبرياء وسرقة الأراضي وتشريد الناس والفصل العنصري؟ عدم إعطائنا لرأينا هو في الواقع رأي. ألا نتكلم أمام هذه الأمور يعني أننا موافقون عليها! أو أن الكنيسة لا يجب أن تكترث لمعاناة أبنائها اليوميّة.

والمثير للسخرية أن من يتهمنا أننا مسيّسين هم أنفسهم منخرطون في الدفاع عن إسرائيل وروايتها الصهيونية! هم لهم الحقّ أن يتكلموا بالسياسة، ويعتبرون هذا موقف كتابي، أما نحن اللاهوتيين الفلسطينيين فعند الدفاع عن حقّ أبناءنا ورعايانا أصبحنا مسيّسين! والذي يقهر أكثر هو أن هؤلاء لا يتكلمون في السياسة من منطلق تعاليم المسيح وأخلاقياته، بل يطبقون أشنع أنواع السياسة، السياسة التي تبرّر القتل والعنف والاحتلال والظلم. المسيحي المنخرط في السياسة يجب أن يكون دستوره تعاليم المسيح عن محبة القريب والموعظة على الجبل. مهمة المسيحي المنخرط بالسياسة هو جلب تعاليم المسيح للشأن العام، وذلك شهادة للمسيح له المجد. أما هؤلاء الصهاينة العرب

فمنخرطين بالترويج للسياسات الإسرائيلية الصهيونية المشينة. بالأحرى لهم أن يخجلوا من أنفسهم وأن يتوبوا، فهم يشوهون اسم المسيح وانجيله المقدس.

أيضاً عايرنا البعض لأننا نقبل دعم مالي من كنائس غربيّة. وهنا نؤكد أن كلّ من يدعمنا يدرك تمامًا مواقفنا فهي مواقف واضحة ومعروفة للجميع وترتكز على الحقّ الكتابيّ. وكل من يدعمنا يعرف عن مؤتمر المسيح أمام الحاجز. لدينا عزّة نفس تجعلنا نرفض أن نقبل أي دعم مشروط. في الواقع، هناك من توقف عن دعمنا بسبب مواقفنا الداعمة للعدل، ونقول لهم "الله يبارككم"، وهناك من حاول أن يشترينا ويغيّر من قناعاتنا، والصهيونية مستعدة أن تدرّ علينا الأموال مقابل الترويج لها أو حتى عدم التعرّض لها. علينا ألا ننسى أن العديد من المسيحيين في الغرب لا يؤيدون الصهيونية وهناك العديد من يتفق معنا وأعدادهم بتزايد مستمر. وهناك حتى من لا يتفق معنا على كلّ القضايا لكنهم يثقون بدعوتنا وإرساليتنا لأرضنا وشعبنا، ويساهمون في عمل الكليّة. نحن نثق بالله، وبأنه سيملأ كل احتياج بحسب غناه في المجد (فيليبي 19:4)، وأن من ابتدأ كل عمل صالح فينا فهو أمين ليكمّله إلى التمام (فيليبي 6:1).

ادعى البعض أن اللاهوت الفلسطينيّ لاهوت ذميّ، أي أنه لاهوت يخضع لفكر سلطوي إسلامي يضع المسيحيين في مرتبة متدنية. ولكن على أي أساس بنوا هذا الادعاء؟ هل يعقل أن يكون لاهوت يرفض الظلم والقهر وينادي بالعدل هو في نفس الوقت لاهوت يقبل ظلم وقهر من نوع آخر؟ ألا يستطيع اللاهوت الفلسطيني أن ينقد الظلم والإستعمار الإسرائيلي وإن ينقد أيضًا كافة أشكال الظلم والاستبداد من طرف أي جهة مسيحية أو يهودية أو إسلامية أو غير ذلك؟

في الواقع، كتب العديد من اللاهوتيّين الفلسطينيين عن فكرة المواطنة المتساويّة، لا الذميّة، ورفضوا مفهوم الدولة الدينيّة. فكايروس فلسطين قالت: "الدولة الدينيّة، اليهوديّة أو الإسلاميّة، تخنق الدولة وتحصرها في حدود ضيّقة وتجعلها دولة تفضّل مواطنًا على مواطن وتستثني وتفرّق بين مواطنيها. دعوتنا لليهود والمسلمين المتديّنين: لتكن الدولة لكلّ مواطنيها مبنيّة على احترام الدين، ولكن أيضًا على المساواة والعدل والحرّيّة واحترام التعدُّدية، وليس على السيطرة العدديّة أو الدينيّة" – (كايروس فلسطين). واللاهوت الفلسطيني أيضًا يحارب التكفير والتطرّف الديني، الذي وصفته كايروس: "التطرف وما ينجم عنه من قتل وتشريد وخطف وإرهاب باسم الدين شرٌ ضد الله والإنسانية" (رسالة كايروس).

المصيبة في كلّ هذه الآراء هي تصوير الدفاع عن الحقّ الفلسطيني وكأنه دفاع عن الإسلام السياسي أو حتى حماس. وهكذا يفرضون علينا ألا نتكلّم عن سرقة أراضي أبناء رعايانا وكنائسنا، وقتل وتشريد الأبرياء ومنهم أبناء رعايانا وكنائسنا، أو عن نظام الفصل العنصري، أو إرهاب المستوطنين، وإلا أصبحنا ذمّيين بحسب وصفهم. والأدهى تساؤلهم أين نحن من جرائم داعش، وكأن المسيحي الفلسطيني يؤيد داعش، أو أنه أصبح الناطق الرسمي باسم داعش، أو الفرض على المسيحي الفلسطيني أنه لكي يتكلّم عن معاناته تحت الصهيونيّة من سياسات إسرائيل عليه

أولاً أن يدين داعش وإيران وربما كل القضايا الأخرى لكيّ يحق لنا أن نتكلّم عن همنا أو حتى لنخاطب الصهيونية المسيحية الغربيّة عن موقفنا من لاهوتهم. نرفض هذا الاستبداد بالمطلق.

أتسائل: هل ينبع كلّ هذا الكلام عن جهلٍ للواقع الفلسطيني؟ أو هو تطبيق لسياسة أسيادهم الصهاينة التي كانت وما زالت تريد إسكات أي صوت يتكلّم عن جرائمهم؟ (ونتسائل: من هو الذمّي الحقيقي؟) والمشين أن بعض هؤلاء المعلمين المضللين يعمل "مشاركة" بافتخار لمدح الحكومة الإسرائيلية له! فمن هو الذمي والتابع والبعيد كل البعد عن تعاليم المسيح المقدسة؟ هي ذميّة صهيونية.

بالنسبة للإسلام والمسلمين، موقفنا واضح: نعم نحن نرفض وندين التطرّف، وننادي بالمسيح ربًّا ومخلّصًا للكل، ولكن، في ذات الوقت، شاء أم أبى من تهجم علينا، نحن نقتدي بالمسيح الذي أمرنا أن نحب قريبنا كأنفسنا. يمكن أن يتفاجأ البعض ولكن، نحن نحب جارنا المسلم. نحن نريد الحياة الفضلى والخير والسلام لجارنا المسلم. إيماننا أن يسوع المسيح هو "الطريق والحقّ والحياة"، لا يُلغي أبدًا وصيّة المحبة، بل يعزّزها. والتزامنا بالحوار مع جارنا المسلم لا يعني أبدًا تنازلنا عن مسلّماتنا المسيحية عن طبيعة الله المثلّث الأقانيم وصلب وقيامة المسيح.

أفكر هنا في وصية الرسول بولس بشأن الصلاة:، حين أوصانا أن نصلّي للملوك "كَيْ نَقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ، لأَنَّ هذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ" - أي أن الله يسعى لخير الجميع، وعلينا نحن أيضًا أن نسعى لخير الجميع. ثم تكمل الآية: "الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ." (1 تيموثاوس 2:2-4)

يجب أن تحافظ الكنيسة على الاثنين معًا: الله يريد الاثنين معًا، ونحن أيضًا: أن "نقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ... وأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ".

نحن نرفض كافة أشكال الكراهية العمياء تجاه الكل: نرفض ونكره عداء اليهود بسبب يهوديتهم، ونرفض عداء المسلمين بسبب إسلامهم. محبتنا متكاملة وشمولية. محبتنا لا تعني المحاباة. نقف مع مسلمي الأويغر المضطهدين في الصين أو مسلمي الروهينغا في ماينمار ومسلمي الهند الذين يعانون من التطرف الهندوسي أو أي مسلم متضطهد بسبب عرقه أو دينه. أذكر زيادة العنف تجاه المسلمين في الغرب، مثل قتل الطفل وديع الفيومي وإطلاق النار على الشباب لابسي الكوفية في أمريكا، وغيرها الكثير من الجرائم ضد العرب والمسلمين. ألا يطعن هذا في مسيحيّتنا في جوهرها؟

لأن محبتنا شاملة فنحن أيضا نقف بجانب كل ضحايا العنف المسلح والديني من قبل المجموعات الإسلامية الأصولية المسلحة أمثال داعش وغيرهم. اخوتنا في جسد المسيح في مصر وسوريا والعراق، وأيضاً اليزيديين والمسلمين السنة والشيعة والأقليات العرقية والدينية التي عانت وتعاني

من التطرف الديني بكافة أشكاله في الشرق الأوسط. وطبعًا ندين هذا الشيء بأشدّ العبارات. وصلينا من أجل أخوتنا المضطهدين وناشدنا العالم.

ومن ثمّ نقول من جديد: ما علاقة هذا بموقفنا من الصهيونية والظلم الذي نتعرّض له ومن موقفنا من الصهيونية المسيحيّة؟ لماذا يتم تغيير الموضوع دائمًا عندما يتكلّم الفلسطيني عن ألمه ومعاناته إلى "داعش" والتطرّف؟

للأسف، كل هذه المغالطات، وهناك المزيد، مثلاً أننا نغيّر أسماء المدن، وكأن لنا نسخة مختلفة من الكتاب المقدس، كل هذه الافتراءات تجعلنا نتساءل: ما الهدف؟ ولما الآن؟ صدقوني لو كانت انتقادات شرعيّة لما اعترضت، بل كنّا تفاعلنا معها. أكرّر: نرحّب بالنقد البنّاء. دعوني أذكركم بالمرات العديدة في الكلية التي استضفنا فيها لاهوتيين يعارضوننا الأفكار، وحاورناهم وحاورونا باحترام ومحبة، واختلفنا، لكن ضمن الأدبيات المسيحيّة. إذًا نسأل: لم هذا الهجوم؟ ولم الآن؟ وهل هو سوء فهم للاهوت الفلسطيني؟ أم افتراء مقصود للتشويه والتحريض؟

توصيات

أولاً: الصهيونية المسيحية: آن الأوان لأخذ موقف واضح وصريح من الصهيونية والصهيونية المسيحية، على أنها أيديولوجية عنصريّة إقصائية استعلائية استعماريّة، ولا يمكن أبدًا أن تكون جزءًا من مفرداتنا المسيحية. هي عار على الكنيسة، وللأسف الشديد قد بدأت هذه الأيديولوجية بالتغلغل بين العرب والعرب المسيحيين، إما كردّ فعل على الإسلام السياسي والتطرف، أو لدوافع أخرى، وأصبحنا نرى تأثيرها خاصة بين عرب المهجر وحتى في الشرق. من المهم جدًّا أن يكون هناك موقف واضح وصريح من الصهيونية المسيحية وأتباعها، وأوضح هنا وأشدّد أن الأمر يتعدى كون الصهيونية المسيحية نظرية تفسيريّة في اللاهوت المسيحي وكأنها قراءة بين القراءات للكتاب المقدس. علينا أن نفهم الصهيونية على حقيقتها: أيدولوجية عنصرية مبنية على إقصاء الفلسطيني وطرده من أجل تأسيس وطن قومي لليهود في أرض الفلسطيني، وخلق نظام عنصري مستبدّ على هذه الأرض. الصهيونية تعلّم بإله حرب قبليّ يميّز ويفاضل بحسب العرق أو الدين. فهل نقبل أن نضع كلمة "مسيحيّة" قبل أيديولوجية كهذه؟ واليوم حتى اليهود بدأوا بفهم الصهيونية على حقيقتها وهناك أصوات تنادي بضرورة رفضها باسم الإيمان اليهوديّ! تقول منظمة صوت يهودي من أجل السلام: "تسترشد منظمة صوت اليهود من أجل السلام برؤية العدالة والمساواة والحرية لجميع الناس. نحن نعارض الصهيونية بشكل لا لبس فيه لأنها تتعارض مع هذه المثل العليا." وآن الأوان للكنائس أن تقول الكلمة ذاتها.

ثانيًا: أدب الاختلاف. علينا كمسيحيين مشرقيين عرب أن نتعلّم "أدب الاختلاف"، وأن نتذكر أن أخلاقياتنا المسيحية وعلى رأسها الصدق والمحبة يجب أن تسود على منهجيتنا وأسلوب تقديم المعرفة.

أريد أن أعلّق على أسلوب التهجّم على قيادات مسيحيّة عربيّة ومؤسسات مثل كليّتنا. الاختلاف في الرأي معنا حقّ. النقد حقّ، بل ونرحّب به. التفاعل الإيجابي مع كتاباتنا وعظاتنا شيء نرحّب به. وإن رأيتم أننا أخطأنا، تواصلوا معنا! هناك طرق مسيحية. إن أخطأنا، نحن اخوتكم، تواصلوا معنا بمحبة، وإن لم نستجب، وجهوا لنا نداءً بأسلوب محبة لا تحريض.

ما حصل في الفترة الأخيرة افتقر إلى الأخلاقيات المسيحيّة. بداية، لم يكن هناك صدق. فتمّ تشويه اللاهوت الفلسطيني مثلاً، ونشر معلومات خاطئة. ثانيًا، لم يتواصل معنا أحد مباشرة ليتحقّق مما قيل، إلا عدد قليل جدًا. ثالثًا، كان هناك تحريض غريب على شخوص ومؤسسات، لا على أفكار. رابعًا، اللجوء إلى مواقع التواصل الاجتماعي وتصديق كل ما فيها فاجئني. مرجعيّاتنا أصبحت تراشقات التواصل الاجتماعي! أصبح عنا فتاوي لاهوتيّة. مستوى النقاش الأخلاقي على مواقع التواصل الاجتماعي في بعض الأحيان كان غير لائق، وفيه حتّى تهكم، وتنمّر، وأحيانًا أخرى عنف وتحريض على القتل. عيب. وبعض التعليقات التي قرأتها للأسف كانت من رعاة ومرنمين ومديري مؤسسات وخدّام... وهو ما أحزنني. أين الوعي؟ أين التحقّق من الحقائق؟ كيف تقبلون نشر كذب؟ ألا يحذّرنا الكتاب: "وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ" (متى 7:18).

الهجوم على اللاهوت الفلسطيني، والتحريض والتنمّر، أظهر تبعيّة عمياء يحملها الكثير من المعلمين والرعاة المسيحيين العرب للأصوليّة الغربيّة! أليس هذا خضوع للسيد القوي الغني بدون أي تفكير أو نقد؟ أليست هذه ذمية بحد ذاتها؟ هذا ثمر الصهيونية المسيحية العربيّة. والكتاب يقول: "من ثمارهم تعرفونهم".

ثالثًا، أعظمهنّ المحبة. لمن هاجم وكذّب وشهّر، عن وعي أو دون وعي، نقول: "نحن نحبكم. نحن نغفر لمن أساء إلينا". ومن ثمّ، نناشدكم: ابتعدوا عن الأحكام العمياء والمطلقة، والإقصاء لمن اختلف معكم في تفسيركم للكتاب المقدس. أنتم هرطقتم اخوتكم في جسد المسيح الذين اختلفوا معكم في تفسير وتطبيق إيماننا المسيحي، وداعش كفروا المسلمين الذين اختلفوا معهم في تفسير وتطبيق الإسلام. ما هو الفرق بالضبط بينكم وبينهم من ناحية منهجيتكم المتطرفة الإقصائية؟

لذا أسأل: أين المحبة في أسلوب التهجّم هذا؟ تحدياتنا كثيرة. نحن نخدم الله بأمانة. نوفق أحيانًا، ولا نصيب أحيانًا أخرى. وصيّة المحبة هي جوهر القصيد. في النهاية يقول لنا بولس أن المحبة هي التي تثبت. سؤالي لمن هاجمنا: هل ثبتت محبتكم؟ هل سعيتم للخير والوحدة في جسد المسيح؟ هل تحاورتم معنا؟ هل قرأتم ما كتبناه بموضوعية وإنصاف؟ أم فقط انقدتم وراء الموجة كقصبة تحركها الريح؟

وأين التعاطف مع اخوتكم المسيحيين في فلسطين، حتى وإن أخطأنا! اليوم في فلسطين: أراضينا تُسرق يوميًّا! عائلاتنا تُهجّر! حرّياتنا مسلوبة بالكامل، وغزّة تُباد. الردود تدلّ إما أنّ العالم العربي وخاصة المسيحي لا يعرف حجم الألم وصعوبة الحياة هنا تحت الاحتلال والفصل العنصري. أو أنه انعدمت الإنسانيّة وحسّ الرحمة عند الكثيرين. ألا يُعلّم الكتاب: "تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ" (أشعياء 17:1). إن لم تريدوا التضامن معنا، على الأقل، اتركوا الفلسطيني في محنته ولا تلوموا الضحية. يكفينا شرّ الاحتلال والفصل العنصريّ والإبادة في قطاع غزة.

الصهيونية المسيحية لربما تفتقر إلى المحبة أكثر من أيّ شيء آخر. هذا ما لمسناه بشكل واضح من الموجة الأخيرة من العداء والتحريض والتشهير والكذب. المسيحية بدون محبة تفقد جوهرها. المسيح دعانا حتى لمحبة العدو. وأخشى أن يكون التطرّف الديني في المشرق قد خلق في كنيسة المسيح روح الكراهية والعداء للآخر. أما حرب غزة، فأخذتنا إلى أبعد من ذلك، حيث اختفت الرحمة وحتى الإنسانيّة من بعض من يدعون أنهم اتباع المسيح. هناك مجازر يوميّة وحرب إبادة بحقّ البشريّة هناك، وبدلاً من الغضب المقدس والتعاطف المسيحي والتضامن مع المقهور، نرى من يهاجم ويشرعن ويبرر ويدافع ولا ينادي حتى بوقف الحرب (وهذه أقل الأمور التي يجب على المسيحي الحقيقي أن ينادي بها). يا ربّ ارحمنا.

فعلاً، ما قلته أكرّره: غزة قسمت العالم. هي المعيار الأخلاقي اليوم. ندائي إلى إخوتي المسيحيين الصهاينة في الشرق الأوسط: لا تفقدوا إنسانيتكم. توبوا وارجعوا إلى المسيح وإلى أسس المحبة التي أوصانا بها المسيح.

أسمع كثيرًا، نحن نفتخر بك لأنك "قسيس وطني". بصراحة، القضية ليست انتماء وطني بالدرجة الأولى. نعم أنا أعشق فلسطين حتى النخاع – ولن أعتذر يومًا عن هذا. هذه أرضي ولن أتركها مهما حصل. ولكن بالنسبة لي القضية بالدرجة الأولى إيمانية مسيحية لاهوتية وأخلاقيّة. ففهمي لملكوت الله وتبعيتي للمسيح هي دافعي الأول لما أقوم به. أنا أقوم بما أقوم به لأنني أتبع المسيح وتعاليم الانجيل. وكلّما تعمقت في فهم المسيح، رأيت فيه لا فقط المخلص والإله، لكن أيضًا المعلّم الذي تحدى المفاهيم السياسية والاجتماعية وحتى الدينية. وهو علمني فوق كلّ شيء أن المسيحية تلخّص في وصية المحبة. في هذه الأيام الصعبة التي تمرّ بها أرضنا، أصلي أن تسود المحبة على ردودنا وأخلاقيّاتنا ولاهوتنا. ليثبت الإيمان والرجاء والمحبة فينا، هذه الثلاثة وأعظمهّن المحبة. آمين.